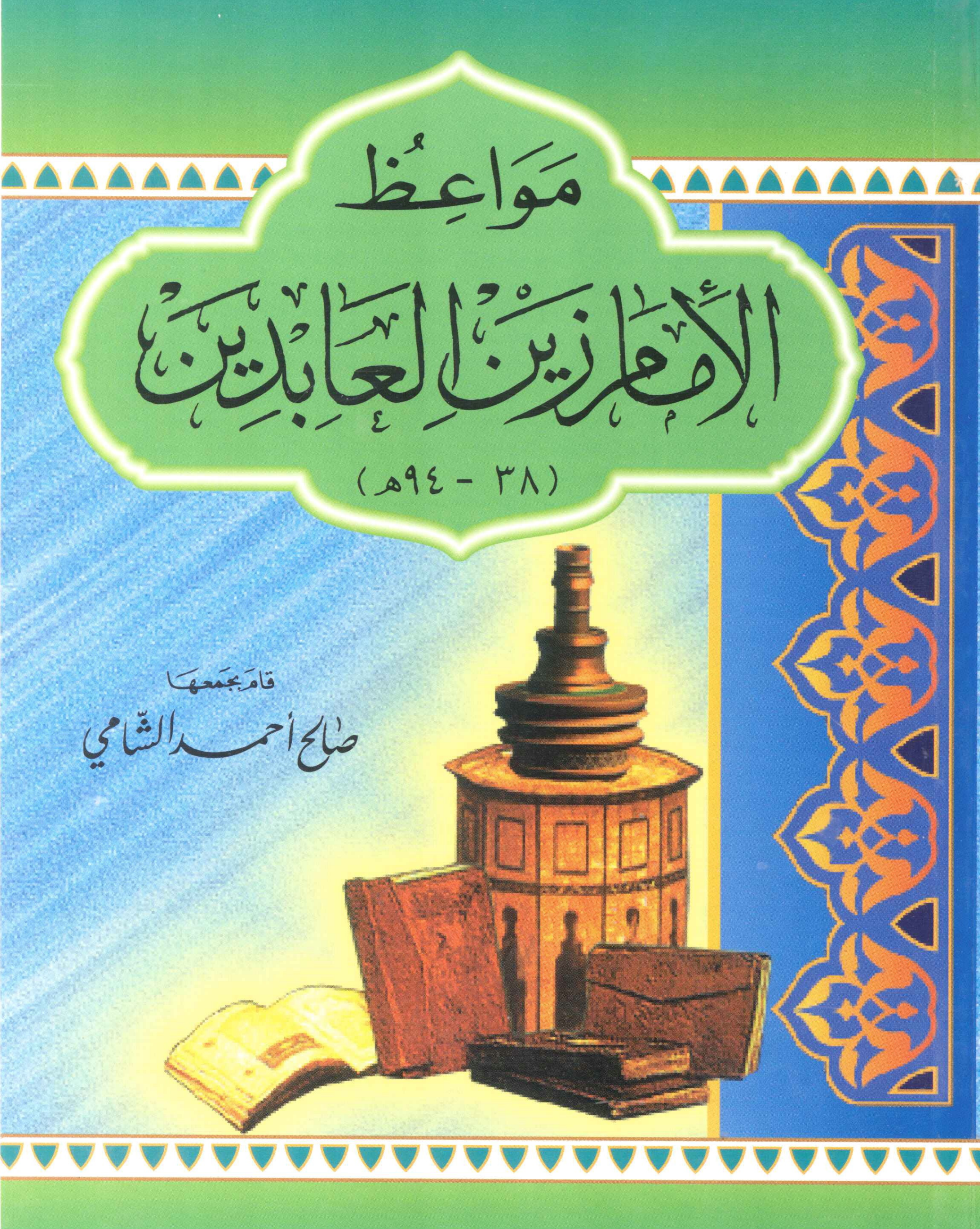


مواعظ الإمام زين العابدين

(٣٨ - ٩٤هـ)

قام بجمعها
صالح أحمد الشامي

المكتب الاسلامي

معالم في التربية والدعوة

مواعظ

الإمام زين العابدين

(٣٨ - ٩٤هـ)

قام بجمعها

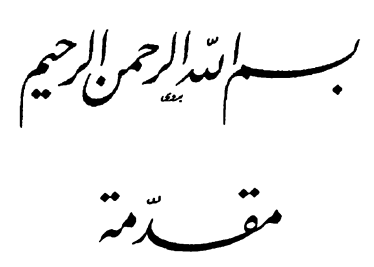
صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥



الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وَبَعْد:

فقد تكون الكلمة سبباً في تصحيح مسار، أو تغيير مسلك، ولهذا كانت مجالس العلم هي أفضل المجالس.

وإذا كان بعض الناس لا تتيح لٰهم مشاغلهم حضور هذه المجالس، فإن في الكلمة المكتوبة عوضاً جيداً.

ولعل سلسلة «معالم في التربية والدعوة» قد أدّت بعض المهمة في هذا الميدان.

والعدد الذي أقدمه اليوم، ليأخذ مكانه فيها،

يتضمن مواعظ علم من أعلام التابعين، وإمام من أئمة أهل البيت النبوي الكريم. إنه زين العابدين ابن الشهيد ابن الشهيد رضي الله عنهم أجمعين.

والموعظة ـ جملةً ـ إما أن تكون قولاً يسمع، وإما أن تكون عملاً وخبراً ينقل، ولسان الحال ربما كان في كثير من الأحيان أبلغ من لسان المقال.

ومواعظ زين العابدين تشتمل علىٰ النوعين، وقد كان من نيتي أن أفصل بينهما، ولكني آثرت بعد ذلك أن يكون السياق واحداً، فتارة نستمع إليه يتكلم، وتارة نشاهده من خلال الخبر في عمل من أعمال البر، أو مسعىً من مساعي الخير.

وفي كلا الحالين نحن أمام موعظة. نرجو من الله تعالىٰ أن ينفعنا بها، فتكون سبباً في إصلاح النفوس وإصلاح العمل.

هذا، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

١ رجب سنة ١٤٢٨هـ

١٥ / ٧ / ٢٠٠٧م

كتبه

صالح أحمد الشّامي

ترجمة زين العابدين

زين العابدين، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي. ولد بالكوفة سنة ثمان وثلاثين في أصح الأقوال[1].

أمه سلامة ـ وقيل غزالة ـ بنت يزدجرد ملك فارس، سبيت ثالثة ثلاث من بناته في خلافة عمر رضي الله عنه، فأمر عمر ببيعهن، فأشار علي رضي الله عنه بتقويمهن، ويأخذهن من اختارهن.

فأخذهن علي، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، وأخرىٰ لولده الحسين، وأخرىٰ لمحمد بن أبي بكر الصديق.

فولدت الأولىٰ لعبد الله بن عمر: سالماً.

وولدت الثانية للحسين: علياً.

---

(١) «شذرات الذهب» (١/ ١٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٦٦).

وولدت الثالثة لابن أبي بكر: القاسم.

فسالم، وزين العابدين، والقاسم بن محمد، أبناء خالة، وقد فاق هؤلاء الثلاثة فقهاء المدينة: فقهاً وورعاً[1].

* * *

وقد شهد مع والده معركة الطف والتي تسمىٰ «كربلاء»، وكان مريضاً فلم يشارك في القتال، وكان عمره يومئذٍ ثلاثاً وعشرين سنة.

وكانت هذه الواقعة سنة إحدىٰ وستين يوم عاشوراء، واستشهد فيها أبوه وأخواه علي الأكبر وعبد الله، وعدد من أعمامه وأبنائهم.. رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم..

واستقر بعد هذه الحادثة في المدينة، ولم تخل حياته من مضايقات بني أمية بعد ذلك.

ومن ذلك ما ذكره ابن شهاب الزهري فقال: شهدت علي بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن

---

(١) «شذرات الذهب» (١/ ١٠٥).

مروان من المدينة إلىٰ الشام فأثقله حديداً، ووكل به حفاظاً في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه، والتوديع له، فأذنوا لي، فدخلت عليه وهو في قبة والأقياد في رجليه، والغل في يديه فبكيت، وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم.

قال الزهري: فما لبثا إلا أربع ليال، حتىٰ قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده، إذ أصبحنا فما وجدنا في محمله إلا حديده.

قال الزهري: فقدمت بعد ذلك علىٰ عبد الملك بن مروان، فسألني عنه فأخبرته، فقال لي: إنه قد جاءني في يوم فقده الأعوان، فدخل علي فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحب، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة.

قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس علي بن الحسين حيث تظن، إنه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل مثله، فنعم ما شغل به[1].

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٤).

ومن ذلك ما جاء في «تاريخ مدينة دمشق»: أن هشام بن إسماعيل كان أميراً علىٰ المدينة، وكان ينال زين العابدين أو بعض أهله منه ما يكرهه.

وبعد عزله.. وقف للناس بالمدينة ـ يستجديهم ـ فمر به علي بن الحسين، فأرسل إليه: استعن بنا علىٰ ما شئت. فقال هشام عند ذلك: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤][١].

عبادته:

إنما سمي علي «زين العابدين» لكثرة عبادة من جانب، ولطريقة أداء هذه العبادة من جانب آخر.

أما كثرتها، فقد كثرت الروايات ـ ومنها رواية للإمام مالك ـ أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[٢].

وأما الطريقة: فقد كان إذا فرغ من وضوئه للصلاة، وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٩٤).

(٢) «شذرات الذهب» (١/ ١٠٥).

ونفضة، فقيل له في ذلك، فقال: ويحكم، أتدرون إلىٰ من أقوم، ومن أريد أن أناجي؟[1].

وكان لا يدع صلاة الليل في الحضر والسفر[2].

وجاء في «تاريخ مدينة دمشق»: أن علي بن الحسين حج، فلما أحرم واستوت به راحلته، اصفر لونه وانتفض، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: ما لك لا تلبي؟ فقال: أخشىٰ أن أقول: لبيك، فيقول لي: لا لبيك، فقيل له: لا بد من هذا، قال: فلما لبىٰ غشي عليه، وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتىٰ قضىٰ حجه[3].

هذا جانب من عباداته، وهناك جوانب أخرىٰ ستأتي ضمن مواعظه العملية من إنفاقه في وجوه الخير.. وأخلاقه الكريمة.

ولا بد من وقفة عند الخبر الأول، وهو صلاته ألف ركعة، فما كان زين العابدين ليطلع الناس علىٰ

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٢).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٨).

(٣) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٧٨).

صلاته وعدد ركعاتها، وما كان ليتحدث عن ذلك.

والذي يترجح عندي أن الناس رأوا كثرة عبادته فأطلقوا هذا القول الذي يراد به الكثرة عادة، ولا يراد به حقيقة العدد.

لباسه وهيئته:

كان علي بن الحسين إذا مشىٰ لا تجاوز يده فخذه، ولا يخطر بيده[1].

وكان يلبس كساء الخز بخمسين ديناراً، يلبسه في الشتاء، فإذا كان الصيف تصدق به، أو باعه فتصدق بثمنه، وكان يلبس في الصيف ثوبين ممشقين من متاع مصر، ويلبس ما دون ذلك من الثياب، ويقرأ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢][2].

وكان يخضب بالحناء والكتم.

وقيل: كان له كساء أصفر يلبسه يوم الجمعة[3].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٦).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٩٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٦).

وقال محمد بن هلال: رأيت علي بن الحسين يعتم، ويرخي منها خلف ظهره[1].

وكان إذا سار في المدينة علىٰ بغلته لم يقل لأحد الطريق، ويقول: هو مشترك ليس لي أن أنحي عنه أحداً[2].

علمه:

كان علي بن الحسين يتنقل بين حلقات العلم في المدينة، وكان يقصد حلقة زيد بن أسلم بشكل خاص ويقدمه علىٰ غيره، حتىٰ عوتب في ذلك.

فقال له نافع بن جبير: غفر الله لك، أنت سيد الناس وأفضلهم، تذهب إلىٰ هذا العبد فتجلس معه ـ يعني: زيد بن أسلم ـ؟ فقال:

إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيثما كان.

وقال محمد بن عبد الرحمٰن المدني: كان علي بن الحسين يتخطىٰ حِلَق قومه، حتىٰ يأتي زيد بن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٨).

(٢) المرجع قبله (٤/ ٣٩٨).

أسلم فيجلس عنده، فقال له رجل من قريش: تدع قريشاً وتجالس عبد بني عدي؟ فقال:

إنما يجلس الرجل إلىٰ من ينفعه في دينه[1].

وزيد بن أسلم العدوي ـ مولىٰ ابن عمر ـ الفقيه العابد، لقي ابن عمر وجماعة، وكانت له حلقة للفتوىٰ والعلم. قال أبو حازم الأعرج: لقد رأيتنا في حلقة زيد بن أسلم أربعين فقيهاً، أدنىٰ خصلة فينا التواسي بما في أيدينا[2].

ولعل هذا الذي ذكره أبو حازم ـ من التواسي ـ هو الذي جعل زين العابدين يقدم هذه الحلقة علىٰ غيرها، فإنما يطلب العلم للعمل، وفي هذه الحلقة جانب من التطبيق المطلوب.

ويحسن بنا أن نذكر مثالاً يوضح لنا علم زين العابدين.

قال الزهري: دخلنا علىٰ علي بن الحسين، فقال: يا زهري فيم كنتم؟

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٦).

(٢) «شذرات الذهب» (١/ ١٩٤).

قلت: تذاكرنا الصوم، فأجمع رأيي ورأي أصحابي علىٰ أنه ليس من الصوم شيء واجب؛ إلا شهر رمضان.

فقال: يا زهري، ليس كما قلتم، الصوم علىٰ أربعين وجهاً، عشرة منها واجبة، كوجوب شهر رمضان، وعشرة منها حرام، وأربعة عشرة خصلة صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر، وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب.

قال الزهري: قلت: فسِّرهن يا ابن رسول الله.

قال: أما الواجب؛ فصوم شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين - يعني في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق - قال تعالىٰ: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا [فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾]﴾ الآية [النساء].

وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين، لمن لم يجد

الإطعام، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وصيام حلق الرأس، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ الآية [البقرة: ١٩٦] صاحبه بالخيار إن شاء صام ثلاثاً.

وصوم دم المتعة، لمن لم يجد الهدي، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ الآية [البقرة: ١٩٦].

وصوم جزاء الصيد، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ الآية [المائدة] وإنما يقوم ذلك الصيد قيمة، ثم يقص ذلك الثمن علىٰ الحنطة.

وأما الذي صاحبه بالخيار؛ فصوم يوم الاثنين والخميس، وصوم ستة أيام من شوال بعد رمضان، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر.

وأما صوم الإذن؛ فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها، وكذلك العبد والأمة.

وأما صوم الحرام؛ فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحىٰ، وأيام التشريق، ويوم الشك نهينا أن نصومه كرمضان، وصوم الوصال حرام، وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر حرام.

والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه، قال رسول الله ﷺ: (من نزل علىٰ قوم، فلا يصومن تطوعاً إلا بإذنهم)[1].

ويؤمر الصبي بالصوم إذا لم يراهق تأنيساً، وليس بفرض.

وكذلك من أفطر لعلة من أول النهار، ثم وجد قوة في بدنه أُمر بالإمساك، وذلك تأديب {من} الله ﷻ وليس بفرض.

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٨٩).
وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف جداً. ينظر «ضعيف الجامع الصغير» (٥٨٦٥).

وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار، ثم قدم أُمر بالإمساك.

وأما صوم الإباحة؛ فمن أكل أو شرب ناسياً من غير عمد، فقد أبيح له ذلك، وأجزاه عن صومه.

وأما صوم المريض ، وصوم المسافر؛ فإن العامة اختلفت فيه.

فقال بعضهم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام، وإن شاء أفطر.

وأما نحن فنقول: يفطر في الحالين جميعاً، فإن صام في السفر والمرض، فعليه القضاء، قال الله تعالىٰ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥][1].

وهكذا، وعلىٰ البديهة، في موضوع لم يعرفه مسبقاً ولم يهيئ نفسه له، يأتي بهذا التفصيل الموسوعي. . أجل ـ والله ـ هذا هو العلم.

* * *

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩٢).

أسند زين العابدين عن أبيه، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وصفية، وأم سلمة، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وعن خلق كثير من التابعين[(١)].

روىٰ عنه أولاده: محمد ، وزيد، وعبد الله، وعمر، وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن وطاوس، ويحيىٰ الأنصاري، والزهري، وزيد بن أسلم.. وغيرهم[(٢)].

مسحة حزن:

ظلت آثار واقعة كربلاء ملازمة لعلي بن الحسين طول حياته فيما بعد، حتىٰ قال سعيد بن المسيب: ما رأيته ضاحكاً يوماً قط[(٣)].

وكان كثير البكاء حتىٰ سئل عن ذلك فقال:

لا تلوموني، فإن يعقوب فقد سبطاً من ولده،

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٧٢).

(٢) «نموذج من الأعمال الخيرية» (ص١٩٤) الناشر: مكتبة الشافعي ـ الرياض.

(٣) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٣٠٣).

فبكىٰ حتىٰ ابيضت عيناه، ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلىٰ أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي [يقتلون] في غداة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبي؟![1]

ومن أقواله: فقد الأحبة غربة[2].

إنها فاجعة يتأثر لها كل من قرأ أخبارها بعد عشرات السنين، بل ومئاتها، فكيف بمن حضرها وشاهد أحداثها .. لا شك بأنه لا يلام.

حرقة وألم:

لقد بدأت مأساة آل البيت باستشهاد علي رضي الله عنه، ثم تتابعت الأحداث بعد ذلك في عهد يزيد منكرة قاسية، حيث لم يرع الحكام إلّاً ولا ذمة، ثم استمر الحال علىٰ هذا النمط..

ولنترك الكلام لزين العابدين يحدثنا عن ذلك.

قال المنهال بن عمرو: دخلت علىٰ علي بن الحسين، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله.

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٧).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٧).

فقال: ما كنت أرىٰ شيخاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا.

قال: فأما إذ لم تدر، أو تعلم، فأنا أخبرك.

أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم.

وأصبحت قريش، تعدّ أن لها الفضل علىٰ العرب، لأن محمداً منها، لا يعدُّ لها فضل إلا به.

وأصبحت العرب مقرة لهم بذلك.

وأصبحت العرب تعدّ لها الفضل علىٰ العجم، لأن محمداً منها، لا تعد لها فضل إلا به، وأصبحت العجم مقرة لهم بذلك.

فلئن كانت العرب صدقت أن لها الفضل علىٰ العجم، وصدقت قريش أن كان لها الفضل علىٰ العرب لأن محمداً منها.

إن لنا أهل البيت الفضل علىٰ قريش لأن محمداً منا.

فأصبحوا يأخذون بحقنا، لا يعرفون لنا حقاً.

فهكذا أصبحنا إذ لم تعلم كيف أصبحنا[1].

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو جعفر ـ ابنه ـ: كان أبي ـ علي بن الحسين ـ يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فلما حضرته الوفاة بكىٰ، فقلت: يا أبتِ ما يبكيك؟ فوالله ما رأيت أحداً طلب الله طلبك، ما أقول هذا أنك أبي.

فقال: يا بني، إنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا كان لله عَزَّ وَجَلَّ فيه المشيئة، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه[2].

وقال أبو جعفر: أوصىٰ علي بن الحسين: لا تؤذنوا بي أحداً، وأن يكفن في قطن، ولا يجعلوا في حنوطه مسكاً[3].

وقال: مات أبي سنة أربع وتسعين في أول السنة، ودفن بالبقيع[4].

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٩٦).

(٢) المرجع قبله (٤١/ ٣٧٩).

(٣) المرجع قبله (٤١/ ٤١١).

(٤) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٤١٤).

قال عمرو بن ثابت: لما مات علي بن الحسين، غسلوه، وجعلوا ينظرون إلىٰ آثار سواد بظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل كان يحمل جرب الدقيق ليلاً علىٰ ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين، فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل.

وقال شيبة بن نعامة: كان علي بن الحسين يُبَخَّلُ، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة[1].

هذا، ولا عقب للحسين إلا من زين العابدين[2].

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٥).

(٢) «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٣١).

شهادات

قال الزهري: لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه[1].

وقال: ما رأيت أحداً أفقه منه، لكنه قليل الحديث، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة.

وقال أبو حازم الأعرج: ما رأيت هاشمياً أفضل منه.

وقال مالك: بلغني أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة إلىٰ أن مات، قال: وكان يسمىٰ «زين العابدين» لعبادته[2].

وقال أبو زرعة: ما رأيت أحداً أفقه منه، ولكنه كان قليل الحديث[3].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٧٠).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٥).

(٣) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٧٤).

وقال عمر بن عبد العزيز ـ وذكره يوماً ـ: ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام وزين العابدين[1].

وقال أبو نعيم في «الحلية»: علي بن الحسين، زين العابدين، ومنار القانتين، كان عابداً وفياً، وجواداً حفياً[2].

وقال الذهبي: كان له جلالة عجيبة، وحق له ـ والله ـ ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمىٰ، لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه، وكمال عقله[3].

وقال سعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع منه[4].

* * *

هذه بعض شهادات العلماء التي أدلوا بها بشأن الحديث عن مكانة علي بن الحسين رحمه الله، وهناك شهادة أخرىٰ ليست من عالم ولكنها من شاعر، أدلىٰ

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٣٠٤).
(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٢).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٨).
(٤) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٩).

بها انتصاراً للحق، وذلك ضمن قصة يحسن أن نسوقها بكاملها.

وذلك أن هشام بن عبد الملك حج قبيل ولايته الخلافة، فكان إذا أراد استلام الحجر زوحم عليه، وجاء زين العابدين لاستلام الحجر فانفرج له الناس هيبة ومحبة، فوجم لها هشام. فقال شامي: من هذا؟ فقال هشام: لا أعرفه، خاف أن يرغب عنه أهل الشام، فقال الفرزدق: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأته
والبيتُ يعرفه والحِل والحرمُ

هذا سليل حسين وابن فاطمة
بنت الرسول الذي انجابت به الظلم

إذا رأته قريش قال قائلها
إلىٰ مكارم هذا ينتهي الكرم

هذا ابن خير عباد اللّه كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم

يسمو إلىٰ ذروة العز التي عجزت
عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحَطيم إذا ما جاء يستلم
يبين نور الضحىٰ من نور غرته
كالشمس ينجاب من إشراقها القتم
مشتقة من رسول اللّه نَبْعته
طابت عناصره والخيم والشيم
اللّه شرَّفه قدراً وعظَّمه
جرىٰ بذاك له في لوحه القلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياءُ اللّه قد خُتِموا
وليس قولك من هذا بضائره
العُرب تعرف من أنكرْتَ والعجم
كلتا يديه غِياثٌ عمَّ نفعهما
تستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تُخشىٰ بوادره
يزينه اثنان حُسنُ الخلقِ والشيم
حمَّال أثقال أقوام إذا افتِدحوا
حلو الشمائل تحلو عنده النعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيته
رحب الفناء أريب حين يعتزم

عمَّ البرية بالإحسان فانقشعت
عنها الغياهب والإملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجىٰ ومعتصم

إن عدَّ أهل التقىٰ كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد جودهم
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغوث إذا ما أزمَةٌ أزمَتْ
والأُسدُ أُسدُ الشرىٰ والبأسُ محتدم

لا ينقص العُسرُ بَسطاً من أكفهم
سيان ذلك إن أثرَوا وإن عَدموا

مقدَّم بعد ذكر اللّه ذكرهم
في كل بدء ومختوم به الكلم

يأبىٰ لهم أن يحلَّ الذم ساحتهم
خيم كرام وأيد بالندىٰ ديم

من يعرف اللّه يعرف أوَّليَّة ذا
والدينُ من بيت هذا ناله الأمم

ما قال لا قطُّ إلا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم

فأمر هشام بحبس الفرزدق.. وأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم فردها، وقال: مدحته لله لا للعطاء، فقال زين العابدين: إنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده. فقبلها الفرزدق[1].

---

(١) «شذرات الذهب» (١/ ١٤٢ ـ ١٤٤).


مواعظ
زین العابدین علیؓ بن الحسینؓ
رضی اللہ عنہما

درجات العبادة

قال أبو الحسن:

إن لله عباداً عبدوه رهبة، فتلك عبادة العبيد.

وآخرين عبدوه رغبة، فتلك عبادة التجار.

وآخرين عبدوه شكراً، فتلك عبادة الأحرار[1].

تعجب

قال أبو الحسن:

عجبت للمتكبر الفخور، الذي كان بالأمس نطفة، ثم هو غداً جيفة.

وعجبت كل العجب، لمن شكّ في الله، وهو يرىٰ خلقه.

وعجبت كل العجب، لمن أنكر النشأة الأخرىٰ، وهو يرىٰ النشأة الأولىٰ.

---

(١) «شذور الذهب» (١/ ١٠٥).

وعجبت كل العجب، لمن عمل لدار الفناء، وترك دار البقاء[1].

أغنىٰ الناس

قال أبو الحسن:

من قنع بما قسم الله له، فهو من أغنىٰ الناس[2].

غربة

قال أبو الحسن:

فقد الأحبة غربة[3].

كتمان العلم

قال أبو الحسن:

من كتم علماً أحداً، أو أخذ عليه أجراً رفداً، فلا ينفعه أبداً[4].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٨).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٥)، نشره المكتب الإسلامي.

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٧).

(٤) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٩).

التواضع

قال أبو الحسن:

ما أحب أن لي بنصيبي من الذل، حمر النعم[1].

التقدم بالعلم لا بالسن

قال أبو الحسن:

من سبق إليه العلم قبلك، فهو إمامك فيه، وإن كان أصغر منك سناً[2].

أنتم المهاجرون الأولون؟

قال أبو الحسن: أتاني نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

فلما فرغوا، قال لهم [زين العابدين]:

ألا تخبروني، أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٦). والمقصود بـ«الذل»: التواضع، أو التذلل لله تعالىٰ.

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٩١)، طبعة دار الخير.

وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر]؟

قالوا: لا.

قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؟ [الحشر: ٩]

قالوا: لا.

قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين.

ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

اخرجوا فعل الله بكم[1].

وفاء دين

قال عمرو بن دينار: دخل علي بن الحسين علىٰ محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي،

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٥).

فقال: ما شأنك؟ قال: عليَّ دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، قال: فهو عليَّ[1].

حب الإسلام

قال أبو الحسن:

يا معشر أهل العراق، يا معشر أهل الكوفة، أحبونا حب الإسلام لله عزّ وجل، ولا ترفعونا فوق حقنا، فإنه ما برح بنا حبكم حتىٰ صار علينا عاراً[2].

الأسخياء والعلماء

قال أبو الحسن:

سادة الناس في الدنيا الأسخياء. وفي الآخرة: أهل الدين وأهل الفضل والعلم، لأن العلماء ورثة الأنبياء[3].

النار الأخرىٰ

قال أبو نوح الأنصاري: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون له:

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٩٠).

(٢) المرجع قبله (١/ ٤٨٥، ٤٨٦).

(٣) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٨٥).

يا ابن رسول الله، النار، يا ابن رسول الله، النار. فما رفع رأسه حتىٰ طفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهاني عنها النار الأخرى[1].

الجسد الذي لا يمرض

قال أبو الحسن:

إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر[2].

غرور الدنيا

قال الزهري سمعت علي بن الحسين يحاسب نفسه ويناجي ربه، فكان مما قال:

هل يحرص علىٰ الدنيا لبيب، أو يسرُّ بها أريب، وهو علىٰ ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها!!

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٧٧).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٣). والأشر: البطر، وجاء في الحديث المتفق عليه: (أن المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة، وأن الكافر مثل الأرزة صماء معتدلة حتىٰ يقصمها الله إذا شاء).

أم كيف تنام عينا من يخشىٰ البيات، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات!!

ألا، لا، ولكنا نغرُّ نفوسنا.

وما عسىٰ أن ينال صاحب الدنيا من لذتها، ويتمتع به من بهجتها، مع صنوف عجائبها، وقوارع فجائعها، وكثرة عذابه في مصابها وفي طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها.

* * *

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها، وصرعت من مكبّ عليها.

فلم تنعشه من عثرته، ولم تنقذه من صرعته، ولم تشفه من ألمه، ولم تُبْرِه من سقمه..

بل أوردته بعد عزّ ومنعة موارد سوء، ما لهن مصادر.

فلما رأىٰ أن لا نجاة، وأنه الموت لا ينجيه منه الحذر، تندم إذ لم تغن عنه ندامة.

وبكىٰ علىٰ ما سلف من خطاياه، وتحسَّر علىٰ ما خلَّف من دنياه، واستغفر حين لا ينفعه الاستغفار،

ولا ينجيه الاعتذار، عند هول المنية ونزول البلية. .

هنالك خفَّ عواده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الذرية بالعويل، وقد أيسوا من العليل.

فغمضوا بأيديهم عينيه، ومدَّ عند خروج روحه رجليه، وتخلىٰ عنه الصديق والصاحب الشفيق:

فكم موجع يبكي عليه مفجع
ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له اللّه مخلصاً
يعدد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته
وعما قليل للذي صار صائر[1]

خلال الفضائل

قال أبو الحسن:

من عفَّ عن محارم الله كان عابداً.

ومن رضي بقسم الله كان غنياً.

ومن أحسن مجاورة من جاوره كان مسلماً.

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١١٠).

ومن صاحب الناس بما يحب أن يصاحبوه كان عدلاً[1].

واعظ النفس

قال أبو الحسن:

ابن آدم لن تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك.

وما كانت المحاسبة من همتك.

وما كان لك الخوف شعاراً والحزن دثاراً[2].

القنوط أعظم الذنوب

كان الزهري أصاب دماً خطأً، فاستوحش من ذنبه، وهام علىٰ وجهه، وترك أهله وماله، فلما اجتمع بعلي بن الحسين ـ زين العابدين ـ قال له:

يا زهري، قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك.

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٣٠٣).

(٢) المرجع قبله (٢/ ٣٠٤).

وأمره بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلىٰ أهله.

ففعل الزهري ذلك، وكان يقول: علي بن الحسين أعظم الناس علي منَّة، ويقول: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤][1].

صدقة السر

قال أبو الحسن:

إن صدقة السِّرِّ، تطفئ غضب الرب عزّ وجل[2].

منزلة أبي بكر وعمر

قال أبو حازم: جاء رجل إلىٰ علي بن الحسين فقال: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟

فأشار بيده إلىٰ القبر، ثم قال: منزلتهما منه الساعة[3].

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠٧).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٤).

متىٰ يبعث علي

قال أبو الحسن:

جاءني رجل فقال: جئتك في حاجة، وما جئت حاجاً ولا معتمراً.

قلت: وما هي؟

قال: جئت لأسألك: متىٰ يبعث علي؟

فقلت: يبعث ـ والله ـ يوم القيامة، ثم تهمه نفسه[(١)].

دعاء

كان من دعاء زين العابدين:

اللهم لا تكلني إلىٰ نفسي فأعجز عنها، ولا تكلني إلىٰ المخلوقين فيضيعوني[(٢)].

وصية تنفذ في الحياة

مرض علي بن الحسين ثلاث مرضات، في كل ذلك يوصي بوصية، فإذا برئ وأفاق أنفذها. وقال:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/٣٩٦).

(٢) المرجع قبله (٤/٣٩٦).

كلكم سيصير حديثاً، فمن استطاع أن يكون حديثاً حسناً فليفعل[1].

ما تواطأت عليه الألسن

قال الزهري، حدثت علي بن الحسين بحديث، فلما فرغت قال:

أحسنت، بارك الله فيك، هكذا حُدثناه.

قلت: ما أراني إلا حدثتك بحديث أنت أعلم به مني.

قال: فلا تقل ذاك، فليس من العلم ما لا يعرف، إنما العلم ما عرف وتواطأت عليه الألسن[2].

والكاظمين الغيظ

قال عبد الرزاق: جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء يتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية علىٰ وجهه فشجه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها.

---

(١) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٣٠٤).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٧٦).

فقالت الجارية: إن الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾.

فقال لها: قد كظمت غيظي.

قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

قال: قد عفىٰ الله عنك.

قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران].

قال: فاذهبي فأنت حرة[١].

ما كان رسول الله يفعله

قال علي بن الحسين لابنه جعفر: يا بني، لو اتخذت لي ثوباً للغائط، رأيت الذباب يقع علىٰ الشيء ثم يقع علي، ثم انتبه، فقال: فما كان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه إلا ثوب، فتركه[٢].

ينظرون بنور الله

قال عبد الغفار بن القاسم: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد، فلقيه رجل فسبه، فثارت

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٨٧).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٣)، وهكذا يكون الالتزام بالسنة.

إليه الموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل علىٰ الرجل، فقال:

ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟

فاستحيا الرجل.

فألقىٰ عليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم.

فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول[١].

صدق التوبة

عن أبي جعفر: أن أباه علي بن الحسين قاسم الله ماله مرتين، وقال: إن الله يحب المؤمن المذنب التائب[٢].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٧١). وهذه الحادثة تدل علىٰ صفاء زين العابدين، حيث استشف من وراء كلام الرجل حاجة دفعته إلىٰ ذلك القول، فكان أن أعطاه الدواء الشافي.

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٩). إن قوله: «إن الله =

من صالحي قومنا

جاء قوم إلىٰ علي بن الحسين، فأثنوا عليه.

فقال: ما أكذبكم وأجرأكم علىٰ الله، نحن من صالحي قومنا، فحسبنا أن نكون من صالحي قومنا[1].

إغضاء

قال موسىٰ بن طريف: استطال رجل علىٰ علي بن الحسين فأغضىٰ عنه، فقال له: إياك أعني، فقال: وعنك أغضي[2].

الصبر الجميل

قال إبراهيم بن سعد: سمع علي بن الحسين ناعية في بيته، وعنده جماعة، فنهض إلىٰ منزله، ثم

= يحب المؤمن المذنب التائب» هو تعليل لقسمة ماله مرتين، فكأنه بلسان حاله يقول: ليس هذا من باب صدقات التطوع، ولكنه من باب التكفير عن الذنوب، رضي الله عنه وأرضاه.

(١) «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٦٩).

(٢) المرجع قبله (٧/ ٢٦٩).

رجع إلىٰ مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم، فعزُّوه وتعجبوا من صبره.

فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره[1].

سفرة الحج

قال سفيان: أراد علي بن الحسين الخروج في حج أو عمرة، فاتخذت له سكينة بنت الحسين ـ أخته ـ سفرة أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك، وأرسلت بها إليه، فلما كان بظهر الحرة، أمر بها فقسمت علىٰ المساكين[2].

سجدة في الحجر

قال طاوس: رأيت علي بن الحسين ساجداً في الحجر.

فقلت: رجل صالح، من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول، فأصغيت إليه فسمعته يقول:

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٧).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٨).

عُبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك.

قال طاوس: فوالله ما دعوت الله بها في كرب إلا كشف الله عني[1].

ضعفان من الأجر

قال رجل لزين العابدين: إنكم أهل بيت مغفور لكم.

فغضب وقال: نحن أحرىٰ أن يجري فينا ما أجرىٰ الله تعالىٰ في أزواج النبي ﷺ من أن نكون كما تقول: إنا نرىٰ لمحسننا ضعفين من الأجر، ولمسيئنا ضعفين من العذاب[2].

اللهم ارزقني الجنة

قال أبو الحسن:

لا يقولن أحدكم: اللهم تصدق عليَّ بالجنة، فإنما يتصدق أصحاب الذنوب. ولكن ليقولن: اللهم

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٧٠).

(٢) «تفسير روح المعاني» (٢١/ ١٨٤).

ارزقني الجنة، اللهم مُنَّ عليَّ بالجنة[1].

حسن السريرة

قال أبو الحسن:

اللهم إني أعوذ بك أن تحسِّنَ في لوامع العيون علانيتي، وتقبح سريرتي، اللهم، كما أسأتُ وأحسنتَ إلي، فإذا عدتُ فعد علي[2].

حامل الزاد إلى الآخرة

كان علي بن الحسين إذا أتاه السائل رحب به وقال:

مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة[3].

وسارعوا

قال سعيد بن مرجانة ـ صاحب علي بن الحسين ـ

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٩).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٧).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٨). وهذا القول من الفهم الذي يخص الله بعض عباده به، كما قال علي رضي الله عنه في حديث البخاري (٣٠٤٧).

سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: (من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عُضو منه عُضواً من النار، حتىٰ فَرْجَه بفرْجه).

قال سعيد فانطلقت بالحديث إلىٰ علي بن الحسين، فقال: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ قال سعيد: نعم.

فعمد علي إلىٰ عبد له ـ قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم أو ألف دينار ـ فأعتقه(١).

محاسبة وتذكير

قال أبو الحسن ـ مناجياً نفسه ـ:

يا نفس حتام إلىٰ الدنيا غرورك؟ وإلىٰ عمارتها ركونك؟

أما اعتبرت بمن مضىٰ من أسلافك؟ ومن وارتهُ

---

(١) رواه البخاري (٢٥١٧)، ومسلم (١٥٠٩). وهذا من المسارعة إلىٰ فعل الخير التي ورد الحث عليها في الآية الكريمة: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الأرضُ من آلافك؟ ومن فجعت به من إخوانك، ونقل إلىٰ الثرىٰ من أقرانك؟!

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها
محاسنهم فيها بوالٍ دواثر
خلت دورهم منها وأقوت عراصهُم
وساقتهم نحو المنايا المقادر
خلوا عن الدنيا وما جمعوا لها
وضمتهم تحت التراب الحفائر

كم تخرّمت أيدي المنون من قرون بعد قرون، وكم غيرت الأرض ببلاها، وغيبت في ثراها ممن عاشرت من صنوف الناس، وشيَّعتهم إلىٰ الأرماس.

وأنت علىٰ الدنيا مكب منافس
لخطائها فيها حريص مكاثر
علىٰ خطر تمسي وتصبح لاهياً
أتدري بماذا ـ لو عقلت ـ تخاطر
وإن امرأً يسعىٰ لدنياه دائباً
ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

فحتام علىٰ الدنيا إقبالك، وبشهواتها اشتغالك،

وقد وخطك القتير[1]، وأتاك النذير، وأنت عما يراد بك ساهٍ، وبلذة نومك لاهٍ.

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلا
عن اللهو واللذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الأربعين تربص
وشيب قذال منذر لك كاسر
كأنك تعنىٰ بالذي هو صائر
لنفسك عمداً أو عن الرشد حائر

انظر إلىٰ الأمم الماضية، والملوك الفانية، كيف أفنتهم الأيام، ووافاهم الحمام، فانمحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم..[2].

دولة الباطل

قال أبو الحسن:

إن للحمق دولة علىٰ العقل.

وللمنكر دولة علىٰ المعروف.

---

(١) القتير: الشيب.

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٤٠٤).

وللشر دولة علىٰ الخير.

وللجهل دولة علىٰ الحلم.

وللجزع دولة علىٰ الصبر.

وللخوف دولة علىٰ الرفق.

وللبؤس دولة علىٰ الخصب.

وللشدة دولة علىٰ الرخاء.

وللرغبة دولة علىٰ الزهد.

وللبيوتات الخبيثة دولة علىٰ بيوتات الشرف.

وللأرض السبخة دولة علىٰ الأرض العذبة.

وما من شيء إلا وله دولة، حتىٰ تنقضي دولته.

فتعوذوا بالله من تلك الدول، ومن الحياة في النقمات[1].

مواساة وتعزية

مات لرجل - كان يتردد علىٰ علي بن الحسين - ولد مسرف علىٰ نفسه، فجزع عليه من أجل إسرافه.

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٤١٠).

فقال له أبو الحسن:

إن من وراء ابنك لثلاث خلال:

أما أولها: فشهادة أن لا إلـٰه إلا الله.

وأما الثانية: فشفاعة رسول الله ﷺ.

وأما الثالثة: فرحمة الله التي وسعت كل شيء[١].

ضحك العالم

قال أبو الحسن:

من ضحك ضحكة، مج مجة من العلم[٢].

الصبر علىٰ النوائب

قال أبو الحسن لابنه:

يا بني! اصبر علىٰ النوائب، ولا تتعرض للحقوق[٣].

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠٦).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٣). هذا لا يتعارض مع طلب التبسم، فالتبسم شيء والضحك شيء آخر.

(٣) المعنىٰ ـ والله أعلم ـ عدم المطالبة بالحقوق، لأنها مثار المنازعة، وترك ذلك من الكرم.

ولا تجب أخاك إلىٰ الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعته له[1].

لا تصحب

قال أبو جعفر محمد بن علي: أوصاني أبي قال:

لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.

قال: قلت: جعلت فداك يا أبةِ، من هؤلاء الخمسة؟

قال: لا تصحبن فاسقاً، فإنه يبيعك بأكلة فما دونها.

قال: قلت: يا أبةِ وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.

قال: قلت: يا أبةِ ومن الثاني؟

قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٧).

قال: قلت: يا أبةِ ومن الثالث؟

قال: لا تصحبن كذّاباً، فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب، ويقرب منك البعيد.

قال: قلت: يا أبة، ومن الرابع؟

قال: لا تصحبن أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

قال: قلت: يا أبة، ومن الخامس؟

قال: لا تصحبن قاطع رحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع[1].

تقديم الدعاء

قال أبو الحسن:

لم أر للعبد مثل التقدم في الدعاء، فإنه ليس كل ما نزلت بلية يستجاب له عندها.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا خاف شيئاً اجتهد في الدعاء[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٧١ ـ ٧٢).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٨٠).

حق الأخوة

قال أبو الحسن:

إني لأستحي من الله ﷻ أن أرى الأخ من إخواني، فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل[1].

الغيبة

قال أبو الحسن:

إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس[2].

الصحبة على غير طاعة

قال أبو الحسن:

لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم.

ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله، إلا

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٨٥).

(٢) المرجع قبله (٤١/ ٣٩٩).

أوشك أن يتفرقا علىٰ غير طاعة الله[1].

صدقة

قال أبو حمزة الثمالي: كان علي بن الحسين إذا خرج من بيته قال:

اللهم إني أتصدق اليوم، أو أهب عرضي اليوم، لمن استحله[2].

عفو وإحسان

كان عند علي بن الحسين قوم، فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً، وسقط السفود من يده علىٰ بني لعلي أسفل الدرجة، فأصاب رأسه فقتله.

فوثب علي، فلما رآه قال للغلام: إنك حر، إنك لم تعمده، وأخذ في جهاز ابنه[3].

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٣٩٩).

(٢) المرجع قبله (٤١/ ٣٩٦).

(٣) المرجع قبله (٤١/ ٣٩٦).

السبق بالشكر

قال أبو الحسن:

لقد استرقك بالود، من سبقك إلىٰ الشكر[1].

أكل الدنيا بالدين

قال أبو الحسن:

بئس القوم قوم ختلوا الدنيا بالدين، وبئس القوم قوم عملوا بأعمال يطلبون بها الدنيا[2].

كمال المرء

قال أبو الحسن:

إن المعرفة بكمال المرء: تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرائه، وصبره وحسن خلقه[3].

الأمر بالمعروف

قال أبو الحسن:

التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٤٠٩).

(٢) «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٣٠٤).

(٣) المرجع قبله (٢/ ٣٠٤).

كنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي تقاة.

قيل: وما تقاته؟

قال: يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغىٰ[(١)].

رد جميل

كلم رجل علي بن الحسين فافترىٰ عليه:

فقال له: إن كنا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك.

فقام إليه الرجل فقبل رأسه، وقال: جعلت فداك، ليس كما قلتُ أنا، فاغفر لي.

فقال: غفر الله لك.

فقال الرجل: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤][(٢)].

أمن

دعا علي بن الحسين مملوكه مرتين فلم يجبه،

---

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٩).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٨).

ثم أجابه في الثالثة، فقال: يا بني، أما سمعت صوتي، قال: بلىٰ، قال: فلمَ لم تجبني؟ قال: أمنتك.

قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[1].

الصديق

جاء رجل إلىٰ علي بن الحسين، فقال: أخبرني عن أبي بكر.

قال: عن الصديق تسأل؟

قال الرجل: يرحمك الله، وتسميه الصديق؟

قال: ثكلتك أمك، قد سماه صديقاً من هو خير مني ومنك، رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار، فمن لم يسمه صديقاً فلا صدق الله قوله في الدار الآخرة. اذهب فأحب أبا بكر وعمر، وتولهما، فما كان من إثم ففي عنقي[2].

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤/ ٣٨٧).

(٢) المرجع قبله (٤١/ ٣٨٩).

إنصاف

كان علي زين العابدين إذا سافر كتم نفسه[1]، فقيل له في ذلك، فقال:

أنا أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطي به[2].

السخاء

قال أبو الحسن:

من وُصِفَ ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً.

وإنما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالىٰ في أهل طاعته، ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له، إذا كان يقينه بثواب الله تعالىٰ تاماً[3].

صوارف عن الصواب

قال أبو الحسن:

الناس بين مغمور بالجهل.

---

(١) أي أنه كان لا يعرف بنفسه، حتىٰ لا يكرمه الناس لمكانته من رسول الله ﷺ، وهو غير قادر علىٰ رد الجميل.

(٢) «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٧١).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٤٦).

ومفتون بالعجب.

ومعدول بالهوىٰ عن باب التثبت.

ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم[1].

عصافير تقدس ربها

قال أبو حمزة الثمالي: كنت عند علي بن الحسين، فإذا عصافير يطرن حوله يصرخن، فقال: يا أبا حمزة، هل تدري ما يقول هؤلاء العصافير؟ قلت: لا.

قال: فإنها تقدس ربها ﷻ، وتسأله قوت يومها[2].

بغير حساب

قال أبو الحسن:

إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس فيقال: انطلقوا إلىٰ الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلىٰ أين؟

---

(١) «البيان والتبيين» (١/ ٨٤).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٩).

فيقولون: إلىٰ الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم.

قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟

قالوا: كنا إذا جُهلَ علينا حلمنا، وإذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسي علينا غفرنا.

قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين.

* * *

ثم ينادي منادٍ: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلىٰ الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك.

فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: ما كان صبركم؟

قالوا: صبرنا أنفسنا علىٰ طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله ﷻ.

قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

* * *

ثم ينادي منادٍ: ليقم جيران الله في داره، فيقوم

ناس من الناس، وهم قليل. فيقال لهم مثل ذلك..

قالوا: وبما جاورتم الله في داره؟

قالوا: كنا نتزاور في الله ﷻ، ونتجالس في الله، ونتباذل في الله.

قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين[١].

إذا نصح العبد لله

قال أبو الحسن:

إذا نصح العبد لله تعالىٰ في سره، أطلعه الله تعالىٰ علىٰ مساوئ عمله، فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس[٢].

أين المعتبر؟!

كان علي بن الحسين رحمه الله إذا مرت به جنازة يقول:

نُـراعُ إذا الـجـنـائـز قـابـلـتـنـا
ونـلـهـو حـيـن تـمـضـي ذاهـبـات

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٢) «نموذج من الأعمال الخيرية» (ص١٩٤).

كــروعــةِ ثُــلَّــةٍ لــمــغــار[1] ســبــع
فــلــمــا غــاب عــادت راتــعــات[2]

(١) المغار: المغارة أو الكهف.

(٢) «تاريخ مدينة دمشق» (٤١/ ٤١٠).

خاتمة

هذا ما يسر الله جمعه من مواعظ الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو ـ على قلته ـ فيه الخير الكثير، ونستطيع من خلاله أن نتعرف على اهتمامات صاحبها التي كانت تشغل فكره، والتي أستطيع تلخيصها بالنقاط التالية:

١ ـ الالتزام بالسنة المطهرة:

كان حريصاً على تطبيق السنة والالتزام بها، وعدم الخروج عليها، وقد رأينا كيف أنه عندما أراد أن يتخذ ثوباً لقضاء الحاجة، ثم تذكر أن رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك ترك الأمر.

وعندما بلغه ثواب العتق، لم يتردد عند سماعه الحديث لأول مرة من إعتاق أفضل غلام عنده، تنفيذاً لما سمع، وتقرباً إلى الله تعالى..

وهكذا فالسنة هي محور العمل في الفعل وترك الفعل.

٢ ـ محاربة الانحراف والمغالاة في الحب والكره:

بدأت في زمنه ظاهرة المغالاة في الحب والكره تستفحل وتنحرف عن خط الصواب، ولقد كان يحارب ذلك ويتألم له.

فهو يخاطب أهل العراق، ويطلب منهم أن يكون حبهم لآل البيت، حب الإسلام لا حب الأصنام، وأن طريقتهم في الحب أساءت لآل البيت..

ويسأله أحدهم عن منزلة أبي بكر وعمر فيجيبه بالإشارة إلىٰ قبر النبي ﷺ وقبريهما، وأن منزلتهما الآن هي منزلتهما منه.. وليس بعد هذه البلاغة بلاغة..

وهذا الانحراف بالكره قابله انحراف آخر في الحب.. فسأله أحدهم متىٰ يبعث علي؟ ففي تصور هذا السائل أن علياً غير الناس، وأنه يبعث وحده؟! فأجابه ببلاغته المعهودة إنه يبعث يوم

القيامة وتهمه نفسه.. شأنه شأن كل الناس..

لقد حاول جهده في حياته أن يبين الطريق الصحيح في مسألة الحب لآل البيت، وأنها لا تقتضي كره بقية الصحابة، وأنه لا ارتباط بين الأمرين.. وحرص كل الحرص علىٰ بيان مكانة أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم في الإسلام رضي الله عنهم جميعاً.

٣ ـ المنهج في طلب العلم:

انتقد زين العابدين في تردده علىٰ حلقة زيد بن أسلم متجاوزاً حلقات أخرىٰ..

ويرجع النقد إلىٰ سببين:

الأول: كون زيد بن أسلم من الموالي.. وهناك علماء قرشيون.

الثاني: كون زيد بن أسلم أصغر منه سناً..

وإزاء هذا النقد يضع لنا زين العابدين ثلاثة مبادئ ينبغي أن يرجع إليها في طلب العلم:

١ ـ إن العلم ينبغي أن يتبع حيثما كان، فلا

ينظر إلىٰ كون العالِم قرشياً أو من الموالي؛ فالعلم هو العلم، فقد تتلمذ الإمام مالك علىٰ نافع مولىٰ ابن عمر..

وهذه القضية لا ينظر إليها في ميزان الإسلام.

٢ ـ ينبغي لطالب العلم أن يجلس إلىٰ من ينفعه في دينه، وهذه قضية يقدرها طالب العلم نفسه، فهو عندما يجلس إلىٰ عالم ما، يستطيع أن يقدر هذا الأمر إيجاباً أو سلباً.

٣ ـ التقدم بالعلم لا بالسن: فقد قال: «من سبق إليه العلم قبلك، فهو إمامك فيه وإذ كان أصغر منك سناً».

وبهذا الفهم الصحيح أوضح الطريق، ففي تلقي العلم لا ينظر إلىٰ السن، وقد جلس عبد الرحمٰن بن عوف وكبار الصحابة إلىٰ ابن عباس ـ وهو في سن أبنائهم ـ يتلقون عنه القرآن وغيره[١]، وإذا كان هذا منهج الصحابة.. فهو الصواب والحق..

---

(١) انظر في هذا الموضوع ـ إن رغبت ـ كتاب «هكذا فهم الصحابة» للمؤلف (ص١١٥)، نشره: المكتب الإسلامي.

٤ ـ مكانة آل البيت:

كان يغضبه أن يقال له: إنكم مغفور لكم، لأن هذا القول يجانبه الصواب، ثم بيّن أن حكم آل البيت هو الحكم الذي نزل به القرآن في زوجات النبي ﷺ، فالمحسن منهم له أجران، والمذنب عليه ضعف العذاب.

وبهذا يصحح للناس هذا الخطأ الذي وقع فيه كثير منهم، أما آل البيت أنفسهم فهم أدرىٰ بهذا الموضوع، وما نعتقد أن أحداً منهم اغتر بنسبته إلىٰ آل البيت وترك العمل اعتماداً علىٰ ذلك.

بل إننا نرىٰ في سيرة أئمتهم المثل الأعلىٰ للخوف من الله تعالىٰ. والتزام العبادة له سبحانه، والحرص علىٰ البعد عن الذنوب والآثام، ولم يدّع واحد منهم العصمة، ولم يخطر بفكر أحد منهم ذلك.

وما سيرة زين العابدين التي بين أيدينا إلا المثل علىٰ ذلك.

أكتفي بهذه النقاط، ولا شك بأن القارئ الكريم، توقف عند كثير من الأمور الأخرىٰ التي

تسجلها هذه المواعظ وتضعها بين الأيدي.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتوى